الأمثال العربية القديمة، أهميّتها وأنواعها

الأستاذ أحمد كامش، كلية الآداب واللغات
جامعة منتوري، قسنطينة

ملخص

الأمثال حكمة العرب في جاهليتها وإسلامها, وضرب من ضروب بديعها وجوامع كلمها، بها تستميل القلوب وتتصرّف في الكثير من وجوه الكلام.
عظّم العرب شأنها منذ القدم وأكبروه، وأنزلوها منزلة رفيعة، وأولوها عناية فائقة خاصة لما ارتبطت عـــندهـــم بالقرآن فعدّوها ممّا يجب معرفته منه ... لقد احتلّت الأمثال منزلة رفيعة عند القدماء فاهتمّوا بجمعها في فترة مبكّرة، تعود إلى القرن الأوّل الهجرة....

Abstract

The proverbs count among arts of the most spread prose's, seen the facility has to learn them, this is why the poets and the novelists do not hesitate has to decorate their styles with these proverbs. Initially, because the range of these some words is enormous, it be-with - to say one can express much of things with few words. Also and in more-the share of the cases, these beautiful sentences are very elaborate because they are the result of the experiments of wisdom and the valid principles a' any era ...

مجلة منتدى الأستاذ : المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية .سطح المنصورة.25000. قسنطينة. الجزائر
الهاتف /الفاكس: 98 29 62 31 (0) 213 00
e-mail :bouhrourh@yahoo.fr / bouhrourh@gmail.com

الأمثال حكمة العرب في جاهليتها وإسلامها, وضرب من ضروب بديعها وجوامع كلمها، بها تستميل القلوب وتتصرّف في الكثير من وجوه الكلام.

عظّم العرب شأنها منذ القديم وأكبروه، وأنزلوها منزلة رفيعة، وأولوها عناية فائقة خاصة لما ارتبطت عندهم بالقرآن فعدّوها ممّا يجب معرفته منه. أخرج البيهقي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " **إنّ هذا القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال؛ فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتّبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال**".[1]

لهذه الأسباب احتلّت الأمثال منزلة رفيعة عند القدماء فاهتمّوا بجمعها في فترة مبكّرة، تعود إلى القرن الأوّل الهجرة، فألّف صحار العبدي وعبيد بن شرية الجرهمي وعلاقة بن كرشم الكلابي كتبا جمعوا فيها ما انتهى إليهم من أمثال ولكنّ تلك الكتب ضاعت و لم تظهر لحدّ السّاعة [2] و لم يبق من الأمثال التي جمعوا إلاّ التي ذكرت في كتب الأمثال التي وصلتنا كالمجمع وفصل المقال وأمثال العرب.

وقد اختلف العلماء والنقّاد، قديما وحديثا، في الحكم على أدب الجاهليّة. ولئن كان الشكّ قد حام حول الشّعر وهو " ديوان العرب وعلمهم " فامتداده بعد ذلك إلى النّثر طبيعيّ ومعقول، فهذا الدكتور طه حسين يقرّ في كتابه " في الأدب الجاهلي" بوجود نثر جاهلي ولكنّه ينكر وجود نصّ جاهلي يمثّله، قال: " وكلّ ما يمكننا أن نستخلصه من هذا النثر الذي يضاف إلى الجاهليين إنّما هو شيء واحد، وهو أنّ من الممكن أن يكون هذا النّثر قد حاول قليلا أو كثيرا تقليد ما كان للعرب في جاهليّتهم من نثر فحفظ لنا صورة ما عن هذا النّثر دون أن يحفظ نصّا من نصوصه..." [3] وعلى من يريد دراسة النّثر الجاهلي أن يبحث عنه في القرآن الكريم. قال: " والذين يريدون أن يدرسوا تاريخ النثر العربي الصّحيح مضطرّون إلى أن يردّوه لا إلى نثر جاهلي بل إلى القرآن وحده ..." [4] كما يرى أنّ طائفة غير قليلة من الأمثال " يجب أن تكون جاهليّة، ولكنّ تحقيق هذه الأمثال الجاهليّة التي لم تستحدث في الإسلام ليس بالشّيء اليسير". [5] ويلخّص رأيه في النّثر بقوله: " ومن غريب الأمر أنّ حظّ النثر الذي يضاف إلى الجاهليّين من الفساد والنحل كحظّ الشعر الذي يضاف إليهم." [6] ثم يعلّل فساده بما نجده في هذا النّثر

وتلك الأمثال من تباين في اللغة من جهة وباضطراب حياة من ينسب إليهم ذاك النثر كقس بن ساعدة وأكثم بن صيفي وذو الإصبع العدواني... من جهة ثانية.

وهذا الرّأي من الدكتور طه حسين في النّثر الجاهلي، والأمثال بعضه، لا يختلف عن رأيه في الشعر الجاهلي كلّه، وقد ناقشه الكثير من الباحثين مذهبه في الشعر وخالفوه الرّأي، فبيّنوا أن بعضه منحول وبعضه موضوع، لكنّ أغلبه صحيح النّسبة إلى الجاهليّين. ومثل هذا المذهب هو الذي أميل إليه فيما يتعلّق بالنّثر الجاهلي ، بل وأرى أنّ النثر أبعد عن النحل والوضع من الشعر لأن تفاخر العرب بالشّعر أكثر منه بالنثر ومن ثمّ فالوضع فيه أقل.

ومن الأسباب التي جعلت الأمثال تحمل صورة دقيقة عن النثر الجاهلي؛ كونها تحافظ على صورتها الأصليّة ولا تتغيّر لفترة طويلة؛ كلّ ذلك بسبب إيجازها وكثرة استعمالها وتدوين العرب لها في وقت مبكّر.[7] ويعتبرها أحمد أمين في" فجر الإسلام" مظهرا من مظاهر الحياة العقليّة عند العرب في الجاهليّة.[8]

لقد شغلت الأمثال العلماء على اختلاف اهتماماتهم، منذ القديم خاصّة بعد ما أمر الله، عز وجل، المؤمنين بتدبّرها في كتابه، ثم جاء الأمر بعد ذلك في سنّته ﷺ وفي أقوال الصّحابة ﷺ فقد استعملها القرآن والسنّة لمخاطبة عقول الكافرين وإقامة الحجّة عليهم. قال تعالى: ﴿ ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون ﴾ الزمر27. وقال ﷺ : " مثل المؤمن مثل الخامة من الزّرع تفيئها الريح تصرعها مرّة وتعدلها أخرى حتّى تهيج، ومثل الكافر مثل الأرزة المجدبة أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها مرّة واحدة."[9]

وجاء الأمر بفهمها وتدبّر معانيها في رسالة سيّدنا عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري: " ... ثم اعرف الأشياء والأمثال فقس الأمور عند ذلك..."[10]

و من الصعوبات التي تعترض العلماء عند الحديث عن الأمثال، بأنواعها، تمييز جاهليّها من إسلاميّها، خاصّة حين نجد أنّ أغلبيّتها رُويت غفلا عن النّسبة إلى قائل معيّن أو زمن معيّن أو حادثة معيّنة. فتحديد بداية دقيقة، عندئذ، لنشأة الأمثال العربيّة أمر عسير، ومردّه في اعتقادي إلى أمرين:

أوّلهما: كون الأمثال العربيّة رويت، في أغلبها، غفلا عن النّسبة إلى قائل معيّن أو زمن معيّن، كما أنّ العلماء الذين جمعوها لم يراعوا في جمعها الزّمن الذي قيلت فيه بل رتّبوها وفق طرق مختلفة أشهرها التي على حروف المعجم.

ثانيها: طبيعة المثل، فهو جزء من التّراث الفكري الجاهلي، وهو ما دعا بعض الدّارسين إلى اعتباره؛ أصدق من يقدّم صورة دقيقة عن النثر الجاهلي.

وإذا أخذنا الميداني وكتابه " مجمع الأمثال " كنموذج، فسنجده يقسّم كتابه إلى أبواب، ثم يقسّم كلّ باب إلى ثلاثة أقسام؛ يخصّص الأوّل للأمثال الفصيحة ثم يعقد فصلين آخرين؛ أوّلهما لما جاء على صيغة (أفعل من...) وثانيهما لأمثال المولّدين والعامّة. وسار في ترتيب هذين الفصلين على النهج الذي سار عليه في أصل الباب. ولكنّه لم يبيّن لنا الأسس التي يحكم من خلالها على المثل أمولّد هو أم فصيح.

والمتتبع لأمثال المولّدين في مجمع الأمثال يجد أن معايير تحديدها غير دقيقة، أو غير ثابتة، لأنّ بعض ما نسبه الميداني إلى المولّدين هو من أقوال القدماء الفصحاء. بل ونجده يحكم على المثل الواحد حكمين متناقضين فيضعه مرّة مع الفصيح ويضعه أخرى مع المولّد. وهو ما يدعو إلى إعادة النظر في ترتيب مادّة هذا الكتاب، ودراستها دراسة متأنيّة، للخروج بمعايير دقيقة لبيان القديم الفصيح من الحديث المولّد. ولنسترضِ في هذا المقام نماذج لما نبّهنا عليه من مجمع الأمثال للميداني.

* فالمثل: " إنه يسرُّ حسوا في ارتغاء" [11] جعله من أمثال المولدين، في باب ما أوله همزة، ثم عده مع الفصيح في باب الياء.[12] ونقل عن أبي زيد والأصمعي أصله، وهو ما لم يفعله في المرة الأولى. وأخيرا فالمثل مما كرره الميداني، بزيادة إنه في أوّله.

* والمثل: "الحسد داء لا يبرأ " [13] أورده في باب الحاء مع أمثال المولدين، ثم أشار إلى أنه من كلام أكثم بن صيفي.[14] وكلام أكثم بن صيفي الذي سار أمثالا ذكره الميداني دوما مع الفصيح.

* والمثل: " ما ترك الأول للآخر شيئا " [15] أورده مع المولد وهو من كلام أكثم بن صيفي و له أن ذكره عند شرحه المثل:" ويل للشجي من الخلي".[16]

* والمثل: " دعامة العقل الحلم "[17] أورده مع أمثال المولدين، في باب الدال وذكر في موضع آخر أنه من كلام أكثم بن صيفي.

* وذكر المثل: " سامعا دعوت " [18] في أمثال المولّدين، ثم أعاد ذكره في قصّة المثل الفصيح " في بيته يُؤتى الحكم" [19]

* وذكر المثل: " لا يذهب العرف بين الله والنّاس" [20] مع الفصيح مرّة ومع المولّد مرّة ثانية في الباب نفسه.

كما ذكر المثل: " لكلّ جديد لذّة "[21] مع أمثال المولّدين، بينما المثل في حقيقته بعض بيت للشاعر المخضرم ضابيء بن الحارث البرجمي وهو قوله:

لكلّ جديد لذّة غير أنّني وجدت جديد الموت غير لذيذ.[22]

وما جعل الميداني يقع في مثل هذه الهنّات، في تقديري، راجع إلى كون هذه الأمثال قيلت في القديم لكنّها لم تسر على ألسنة الناس وقتذاك ثم شاعت على ألسنة المتأخّرين. لذلك سأحاول أن أضع بعض المعايير لتمييز القديم من المحدث, ولأبدأ بتحديد معايير المثل الجاهلي.

- **أنواع الأمثال**

✓ **المثل الجاهلي**

هو المثل الذي ينسب إلى العصر الذي سبق ظهور الإسلام، ومن المعايير التي أراها تحقّق جاهليته:

المعيار الأوّل:

نسبة المثل إلى جاهليّين، وتكون النّسبة بأحد أمور ثلاثة:

1 / كون المثل قاله جاهليّون، كالأمثال المنسوبة لأكثم بن صيفي، وعامر بن الظرب وابنة الخسّ... ومنها قولهم:

* " إنّما الشّيء كشكله " نسبه الميداني لأكثم بن صيفي.[23]
* " أسعد أم سعيد " نسبه المفضّل لضبّة بن أدّ, وهو جاهلي.[24]
* " الإفراط في الأنس مكسبة لقرناء السّوء" نسبه الميداني لأكثم.[25]
* " ربّ أخ لك لم تلده أمّك " قاله لقمان عاد.[26]
* " ربّ أكلة تمنع أكلات " قاله عامر بن الظرب.[27]

2 / ارتباط المثل بشخصيّات جاهليّة، كالحارث بن ظالم، أو الزبّاء، أوحاتم الطّائي، أو كعب بن مامة ... وغيرهم، ومنها قولهم:

* " أوفى من الحارث بن ظالم."[28]
* " أجود من كعب بن مامة".[29]
* " على أهلها تجني براقش."[30]
* " أعزُّ من كليب وائل "[31]
* " تمرّد مارد وعزّ الأبلق." / " لا يطاع لقصير أمر "[32]

3/ ارتباط المثل بأحداث جاهليّة وخاصّة أيّام العرب كحروب داحس والغبراء، والبسوس وغيرهما.

وتمتاز هذه الأمثال بترابطها وتشكيلها لسلسلة متّصلة قد تمتدّ إلى عدد كبير من الأمثال.[33] أي أنّ المثل الواحد تتفرّع عنه جملة من الأمثال ..... ويكثر هذا النوع عند المفضّل الضبّي.

المعيار الثاني:

كون المثل يحمل روحا جاهليّة، أو ينتصر لمبدأ جاهلي, ومن أمثلة هذا النوع قولهم:

* " انصر أخاك ظالما أو مظلوما "[34] فالمثل يدعو إلى نصرة الأخ والتّعصّب له وإن كان ظالما. ومثل هذا الخلق جاهلي ذكره دريد بن الصمّة حين قال[35] :

وهل أنا إلاّ من غزيّة إن غوت غويت وإن ترشد غزيّة أرشد.

* " تقديم الحرم من النّعم "[36] وفيه دعوة صريحة إلى وأد البنات, ومعلوم أنّ الوأد عادة جاهليّة حاربها الإسلام.

المعيار الثالث:

كون العلماء نصّوا على جاهليّة المثل, و من أمثلة هذا النوع قولهم:

* " هو قفا غادر شرّ " قال الأصمعي: " والمثل لعبيد بن شحنة قاله في الجاهليّة."[37]

* " عرفتني نسأها الله." قال المفضّل في قصّته: " زعموا أنّ رجلا في الجاهليّة كانت له فرس..." [38]

* " كما خلت قدر سدوس " قال الميداني: " هذا مثل قديم ..."[39]

وتتفاوت الأمثال الجاهليّة من حيث قيمتها؛ فبعضها يكشف عن ذوق رفيع عند قائله وبعضها سخيف، وبعضها مهذّب

اللّفظ حسن العبارة وبعضها قبيحها لحدّ الفحش والبذاءة.[40]

وللأمثال مكانة عالية في الدلالة على ثقافة العرب, بل إنّ مرتبتها تلي في هذا الجانب مرتبة الشعر مباشرة، إذ هو مقدّم عندهم على غيره من أضرب الكلام لكونه وثيق الصّلة بالقبيلة. فهو قوّتها التي تستخدمها في إثبات وجودها والدّفاع

عنه فتظهر هذه الصّلة على صعيدين: صعيد الوحدة بين الشّاعر وقبيلته، وصعيد الوحدة بين ما يقوله الشّاعر وما تفعله قبيلته.

وقد عبّر أبو عمرو بن العلاء عن الصّلة بين الشاعر وقبيلته بالقول: " كان الشّاعر في الجاهليّة يقدّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشّعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم, ويفخّم شأنهم, ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم، ويهيّب من فرسانهم، ويخوّف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ..."[41]

ويؤكّد الجاحظ مقولة أبي عمرو بن العلاء هذه فيقول: " وكان الشّاعر أرفع قدرا من الخطيب وهم إليه أحوج لردّه مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيّامهم "[42].

وتظهر عنايتهم بالشّعر و الشّعراء في كون القبيلة العربيّة كانت تقيم الأفراح وتحضر وفود القبائل المجاورة للتّهنئة متى نبغ فيها شاعر. قال ابن رشيق في العمدة: " كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها، وصنعت الأطعمة واجتمع النّساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ويتباشر الرّجال والولدان، لأنّه حماية لأعراضهم وذبّ عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنّئون إلاّ بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج "[43].

فهذا الاهتمام وتلك العناية بالشّعر جعلته يمثّل قمّة شامخة, حتى كاد أن يكون الجنس الأدبي الوحيد. وإذا كان هذا الاهتمام نعمة على الشّعر والشّعراء فقد كان نقمة على النّثر إذ أغفله العرب فضاع الكثير منه على جودته، قال عبد الصّمد بن المعذّل الرّقاشي: "... وما تكلّمت به العرب من جيّد المنثور أكثر ممّا تكلّمت به من جيّد الموزون, فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره..."[44].

وقال أبو عمرو بن العلاء مؤكّدا ضياع الكثير من أدب العرب: " ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلا أقلّه, ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير."[45]

ويمكنني القول، وبكل اطمئنان، أنّ أغلب ما ضاع من علم العرب لم يكن سوى ما قالته من منثور كالخطب والأمثال...

نافست الخطابة الشّعر وغلبته في بعض المواطن, فنزل لها عن مكانته لاسيّما في القبائل التي كثر فيها الشّعراء، يقول الجاحظ: "... فلمّا كثر الشّعراء وكثر الشّعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشّاعر "[46]. وإذا قلنا الخطيب فإنّنا نقصد، حتما، الكثير من الفصحاء الذين ضربت بأقوالهم الأمثال وسارت بين النّاس كأكثم بن صيفي وعامر بن الظرب وهرم بن قطبة الفزاري وغيرهم.

والذي زاد في أهميّة الأمثال والحكم، تبنّي الشّعراء لها، فضمّنوها قصائدهم كزهير وطرفة وأوس بن حجر. ثم ازدادت عناية النّاس بها بعد مجيء الإسلام وترغيب القرآن الكريم في تدبّرها، واستعملها كوسيلة من وسائل الإقناع في معركته مع المشركين.

لقد صقل القرآن الكريم الذّوق العربي فانصرف النّاس إلى دراسته وانشغلوا بأمثاله عن غيره من الأمثال, وفقد الشّعر والنّثر بريقهما وأخليا المجال له وللسنّة النّبويّة، فظهر نوع جديد من التعبير غير مألوف عند هم هو القرآن الكريم. قال الدكتور شوقي ضيف في بيان هذا الأمر: " على أنّه ينبغي أن نعرف أنّ الأمثال لم يعد لها منذ ظهور الإسلام خطورتها في النّثر العربي، فقد تغيّرت الحياة العربيّة من قواعدها، و لم تعد تحتكرها الأمثال، إذ أخذ العرب يشغلون عنها بتلاوة القرآن ورواية الحديث, واتخذوا منهما عبرهم وموعظتهم, وحتّى الشّعر كفّ كثيرون من شعرائهم عن نظمه".[47]

✓ المثل الإسلامي

وهي الأمثال التي ظهرت بظهور الإسلام وتشمل أمثال القرآن الكريم, وأمثال السنّة النبويّة, وأمثال الصّحابة والتّابعين وأمثال المولّدين والعامّة.

✓ أمثال القرآن الكريم

الأمثال من أبرز وسائل الإيضاح التي استعملها القرآن لهداية المؤمنين، كما استعملها سلاحا فتّاكا في معركته ضدّ خصومه، فكثرت بذلك الآيات التي تشيد بفضله وتبيّن الحكمة من ضربه قال تعالى:

﴿ ولقد صرّفنا في هذا القرآن من كلّ مثل فأبى أكثر النّاس إلاّ كفورا ﴾ الإسراء/89

﴿ ولقد صرّفنا في هذا القرآن للنّاس من كلّ مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾ الكهف 54

﴿ وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون ﴾ العنكبوت/43

﴿ ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل﴾ الروم/ 58

وقد أوقعت الأمثال القرآنية العرب في جدال وخصومة، لأنّهم كانوا يضربون المثل في جاهليّتهم بالحيوانات ذات الشّأن، ولمّا ضرب القرآن الحيوانات الخسيسة كالذّباب والبعوض مثلا عابوا عليه ذلك.[48] فردّ الله عزّ وجلّ عليهم وبيّن أنّ

العبرة في ضرب المثل ليست في بمن ضُرب وإنّما في الحكمة من ضـــربه : ﴿ إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنّه الحق من ربّهم, وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضلّ به كثيرا ويهدي به كثيرا، وما يضلّ به إلاّ الفاسقين ﴾ البقرة/26.

وتظهر الآية أنّ الأمثال القرآنيّة ذات مهام كثيرة؛ منها دحض ا لشبهات الـــتي يثيرها المنكرون حول الإسلام وأحكامه، ومنها تفسير الغامض وتقريـــب المعـــنى للمؤمنين ليزدادوا إيمانا على إيمانهم قال تعالى: ﴿ ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحقّ وأحسن تفسيرا﴾ الفرقان 23.

وإذا كانت بعض الأمثال القرآنيّة لا تختلف عن الأمثال التي قالها العـــرب؛ في إيجاز عبارتها، فأكثرها ولطبيعة المواضيع التي يعالجها القـــرآن، يتحـــوّل إلى قصّـــة تتداخل فيها الأحداث وتتعدّد، ويمكن للوقوف على ذلك الرّجوع إلى مثل [قصّة] صاحب الجنّتين في سورة الكهف (44/32)، ومثل [قصّة] المرسلين في سورة يس (31/13). ونظير هذا كثير في كتاب الله.

ويقسّم العلماء أمثال القرآن إلى قسمين: ظاهر وهو المصرّح به، وكامن وهـــو الذي لا يذكر المثل فيه صراحة وحكمه حكم الأمثال. وقد حاول الســـيوطي في كتابه " الإتقان في علوم القرآن " تفسير المثل الكامن، وقال مـــا نصّـــه: " أمثـــال القرآن قسمان ظاهر مصرّح به وكامن لا ذكر للمثل فيه؛ فمن أمثلة الأول، قولـــه تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الّذي استَوقَدَ نارا... ﴾ البقـــرة 17/ 20 ضـــرب فيهـــا للمنافقين مثلين: مثلا بالنار ومثلا بالمطر... ثمّ قال: " وأما الكامنة: فقال الماوردي: " سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم، يقول: سمعـــت أبي يقـــول: سألت الحسن بن الفضل، فقلت: إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: " خير الأمور أوسطها ؟ " قال: نعم في أربعة مواضع:

قوله تعالى: ﴿ لا فارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ.﴾ البقرة 68.

وقوله تعالى: ﴿ وَالّذينَ إذا أَنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُروا وكانَ بَيْنَ ذلِـــكَ قَوامـــا﴾ الفرقان 67.

وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَجْعَل يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُـــلَّ الْبَسْـــط ﴾ الإسراء 29.

وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبيلا ﴾ الإسراء 110.

قلت: فهل تجد في كتاب الله " من جهل شيئا عاداه ؟ " قال: نعم، في موضعين:

﴿ بَل كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِه ﴾ يونس 39.

﴿ وَإِذ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيم ﴾ الأحقاف 11.

قلت: فهل تجد في كتاب الله " احذر شر من أحسنت إليه ؟ " قال: نعم.

﴿ وما نَقَمُوا إِلاّ أَن أَغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ التوبة 74.

قلت: فهل تجد في كتاب الله " ليس الخبر كالعيان؟ " قال: في قوله تعالى: ﴿ قالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قال بَلى ولَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي ﴾ " البقرة 260.

قلت: فهل تجد " في الحركات البركات ؟ " قال : في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرضِ مرا غما كَثِيرا وَسَعَة ﴾ النساء.100.

قلت: فهل تجد " كما تدين تدان ؟ " قال: في قوله تعالى: ﴿ مَنْ يعْمَلْ سُوءا يُجْزَ به ﴾ النساء 123. قلت: فهل تجد فيه قولهم " حين تقلي تدري ؟ " قال: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حينَ يَرَونَ العَذابَ مَن أَضلُّ سَبِيلا ﴾ الفرقان 42.

قلت: فهل تجد فيه: " لا يُلدغ المؤمن من جحر مرّتين ؟ " قال: ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيهِ إِلا كَما أَمِنتُكُمْ عَلى أَخيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ يوسف 64.

قلت: فهل تجد فيه " من أعان ظالما سلط عليه ؟ " قال: ﴿ كَتَبَ عَلَيهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ الحج 4.

قلت: فهل تجد فيه قولهم: " ولا تلد الحية إلا حيّة ؟ " قال: قوله تعالى: ﴿ وَلا يَلِدُوا إِلا فاجِرا كَفّارا﴾ نوح 27.

قلت: فهل تجد فيه: " للحيطان آذان ؟ " قال: ﴿ وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ ﴾ التوبة 47.

قلت: فهل تجد فيه : " الجاهل مرزوق والعالم محروم ؟ " قال : ﴿ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مدّا﴾ مريم 75.

قلت: فهل تجد فيه: " الحلال لا يأتيك إلا قوتا، والحرام لا يأتيك إلا جزافا ؟ " قال: ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَومَ سبتهم شرعا وَيَومَ لا يَسْبِتون لا تأتيهم ﴾ الأعراف 163 "[49]

وما يؤخذ على ما أورده الماوردي هو أنّك لو حققْتَ النظر لما وجدت مثلا قرآنيا واحدا بالمعنى الذي يراد التعبير عنه بأنّه مثل كامن، على أنّ الماوردي لم ينقل عن الحسين بن الفضل بأنّ متخيّره هذا مثل كامن، ولاسمّى الماوردي ذلك به، وإنّما أورد رواية للمقارنة بما يمكن أن يعد أمثالا من كلام العرب والعجم، ووضع قائمة مختارة إزاءه من كتاب الله بما يبدّد كلامهم ويعلو على أمثالهم.

كما أثرى القرآن الأمثال بظهور بعضها مستمدّا مضامينه منه وأمثلته كثيرة خاصّة في كتاب الميداني ومنها:

* " أقرب من حبل الوريد ".[50] أصله قوله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ق 16.

* " أوهن من بيت العنكبوت ".[51] أصله قوله تعالى: ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذ ت بيتا وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ العنكبوت 41.

* " أشرب من الهيم " [52] أصله قوله تعالى : ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ الواقعة 55.

* " المنّة تهدم الصّنيعة "[53] أصله قول الله تعالى: ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى ﴾ البقرة 264. ومثل هذا كثير في كتاب الله.

لقد أولى القرآن الكريم المثل عناية فائقة وأنزله منزلة رفيعة، وكان من أكثر الأساليب المستعملة في هداية النّاس, أو في تحدّيه لهم وإقامة الحجّة على الكافرين. قال تعالى: ﴿ يا أيّها النّاس ضرب مثل فاستمعوا له, إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذّباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعُف الطالب والمطلوب ﴾ الحج 73.

ولّما كان القرآن الكريم كلّه حكم وعظات وعبر، فقد قام غير واحد من المحقّقين باستخراج الأمثال والحكم الواردة فيه والتي صارت أمثالا سائرة عبر القرون، تداولها الناس على ألسنتهم في حياتهم العملية. ومن الواضح أنّ أمثاله وحكمه نزلت من دون سبق مثال لها، فلم تكن يوم نزولها موصوفة بوصف المثل، وانّما أضفي عليها هذا الوصف على مرّ الزمان و كثرة استعمالها.

وقد عقد السيوطي في كتابه " الإتقان في علوم القرآن" بابا في ألفاظ القرآن الجارية مجرى المثل، وقال: " عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب " الآداب " بابا

في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النوع البديعي المسمّى بإرسال المثل. وممّا ذكره في هذا الباب قوله تعالى:

* ﴿ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللهِ كاشِفَة ﴾ النجم 58.
* ﴿ لَنْ تَنالُوا البرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّون﴾ آل عمران 92.
* ﴿ الآن حَصْحَصَ الحَقّ ﴾ يوسف 51.
* ﴿ وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ يس 78.
* ﴿ ذلِكَ بما قَدَّمَتْ يَداكَ ﴾ الحج 10.
* ﴿ قُضِيَ الأمر الذي فِيهِ تَسْتَفْتِيان ﴾ يوسف 41.
* ﴿ أَلَيْسَ الصُّبحُ بقَرِيب﴾ هود 81.
* ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَشْتَهُون ﴾ سبأ 54.
* ﴿ لِكُلِّ نَبَأ مُسْتَقَر﴾ الأنعام 67.
* ﴿ وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السيئ إلا بأَهْلِهِ﴾ فاطر 43.
* ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ ﴾ الإسراء 84.
* ﴿ وَعَسى أَنْ تكرَهُوا شَيئا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُم ﴾ البقرة 216.
* ﴿ كُلُّ نَفْس بما كَسَبَتْ رَهِينَة ﴾ المدثر 38.
* ﴿ ما عَلى الرَّسُول إلا البَلاغُ ﴾ المائدة 99.
* ﴿ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأبصار ﴾ الحشر 02 . " [54]

وختاما فقد امتازت صيغة المثل القرآني بأنّها لم تنقل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيلة، أعيدت مكررة تمثيلا، وضرب موردها تنظيرا، وإنّما ابتدع المثل القرآني ابتداعا دون حذو احتذاه، و بلا مورد سبقه فهو تعبير فني جديد ابتكره القرآن حتى عاد صيغة متفردة في الأداء والتركيب والإشارة.

وعلى هذا فالمثل في القرآن الكريم ليس من قبيل المثل الاصطلاحي، بل هو نوع آخر أسماه القرآن مثلا من قبل أن تعرف علوم الأدب " **المثل** " ومن قبل أن تسمّي به نوعا من الكلام المنثور وتضعه مصطلحا له، بل من قبل أن يعرّف الأدباء العرب " **المثل** " بتعريفهم.

✓ **أمثال الحديث الشّريف**

يأتي حديث رسول الله ﷺ في قمّة البلاغة وغاية الفصاحة بعد كلام الله عزّ و جلّ. قال عنه الجاحظ : "... لم يسمع النّاس بكلام أعمّ نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا من كلامه ﷺ ." [55] وقد اعترف له معاصروه بتلك المنزلة من الفصاحة، فهذا أبو بكر يخاطبه قائلا: " يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك." [56]

كان الرسول ﷺ يُعنى، دون تكلّف، ببلاغة الكلام، ويحرص على سلامة العبارة وفصاحة اللّسان, فملك بذلك ناصيّة اللّغة و حُقّ له أن يفخر بالقول: " أعطيت جوامع الكلم." [57]

والأمثال النبويّة أهم مظهر من مظاهر جوامع كلمه ﷺ وقد استعملها في الأوجه التي استعمل فيها القرآن أمثاله, فجاء بعضها للترغيب وبعضها للترهيب بل واستعملها ﷺ كأحد أضرب التربيّة والتّوجيه، ومثاله الحديث الذي ذكره أبو هريرة ﷺ عنه ﷺ : " لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرّتين ". [58] فالحديث قاله ﷺ لأبي عزّة الشّاعر وكان قد أُسر يوم بدر فمنّ عليه وأطلق سراحه ثمّ أُسر ثانية يوم أحد فطلب منه أن يمنّ عليه ويطلق سراحه، فأجابه بهذا القول [59] وصار مثلا يضرب لكلّ من لا يعتبر بما مرّ عليه ويقع مرّة ثانية في الأمر الذي حذره سابقا. وأحاديث رسول الله ﷺ التي صارت أمثالا سائرة أنواع كثيرة منها:

النوع الأوّل:

أمثال أصلها أحاديث ومنها:

* قال أبو فيد مؤرج بن عمرو قال النبي ﷺ: " نعم الحي بنو مدلج، إذا أهلّوا عجّوا وإذا نحروا ثجّوا " [60]

جاء في اللسان: عجوا: إلى الله في الدعاء وعجّوا في التلبية. [61] ثجّ: الماء والدم يثج ثجا. [62]

وذكر الراغب في مفردات القرآن: حديث الرسول ﷺ " أفضل الحج العجّ والثجّ " أي رفع الصوت بالتلبية وإسالة دم الهدي. [63] قال تعالى: ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجا﴾ النبأ 14. وأخرج الترمذي بسنده عن أبي بكر ﷺ أنّ رسول الله ﷺ سئل أي الحج أفضل؟ قال: " العّج والثجّ." وقال: حديث أبي بكر حديث

غريب.[64] ثم شرح العجّ بقوله: " والعجّ هو رفع الصوت بالتّلبية و الثجّ هو نحر البُدن".[65] ذكر ابن ماجة الحديث في سننه بسنده عن أبي بكر ﷺ هو الآخر.[66]

وبنو مدلج الذين مدحهم الرسول ﷺ في هذا الحديث بطن من ولد مر بن عبد مناة، فيهم القيافة والعيافة، ومنهم سراقة بن مالك الذي اتّبع رسول الله ﷺ ليردّه فظهرت فيه تلك الآية حتّى صرفه الله عنه[67] وهو أحد الذين اتّصل سؤددهم في الجاهلية والإسلام.[68] ومنهم كذلك محرّز المدلجي الذي سُرّ النبي ﷺ بقيافته.[69]

* " إنّ من البيان لسحرا ".[70] وأصل المثل حديث لرسول الله ونصّه عند أبي داود.[71]

* " إنّ المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ".[72]

* " إنّ ممّا ينبت الرّبيع ما يقتل حبطا أو يلمّ ".[73]

* " هدنة على دخن ".[74] ذكره أبو عبيد في فصل المقال بزيادة " وجماعة على أقذاء " ونسبه إلى الرسول ﷺ.[75] وقوله: " جماعة على أقذاء " ذكره الميداني في موطن آخر من مجمعه كمثل مستقلّ.[76]

* " العدة عطيّة "[77] ذكره الميداني دون أن ينسبه إلى رسول الله ﷺ وذكره أبو عبيد في فصل المقال وقال عنه: حديث مرفوع.[78]

* " الجار ثم الدار".[79]

النوع الثاني

أمثال عربيّة جاهليّة هذّبها الرّسول ﷺ حتّى كاد أصلها الجاهلي أن ينسى، ومن أمثلة هذا النوع:

* " انصر أخاك ظالما أو مظلوما ".[80] ذكر الميداني أنّ أوّل من قاله جندب بن العنبر بن تميم بن عمرو.

وقد ذكر الرسول ﷺ هذا المثل مهذّبا. فعن أنس ﷺ قال: " قال رسول الله ﷺ : انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا: يا رسول الله، هذا ينصره مظلوما فكيف ينصره ظالما ؟ قال تمنعه من الظلم".[81]

فالحديث يبيّن أنّ شروط النّصرة في الحديث مخالفة للتي في المثل، وهو توضيح من رسول الله ما كان ليكون لولا إدراكه لأهميّة الأمثال في حياة النّاس وعنايتهم بها.

النوع الثالث

أمثال جاهليّة ذكرها النبيّ ﷺ واستشهد بها فغلبت عليها النّسبة إليه وكاد أصلها الأوّل أن ينسى ومنها:

* " كلّ الصّيد في جوف الفرا ".[82] وقائله عند الميداني أحد ثلاثة خرجوا للصّيد, فاصطاد أحدهم أرنبا والآخر ظبيا والثّالث حمارا, فاستبشر صائدا الأرنب والظبيّ, وتطاولا على الثالث فقال: كلّ الصيد في جوف الفرا ". وقد قال رسول الله ﷺ هذا المثل لأبي سفيان يتألّفه على الإسلام: " يا أبا سفيان أنت كما قيل: كلّ الصّيد في جوف الفرا ".[83] ويذكر الجاحظ هذا المثل في كلام الرسول ﷺ الذي لم يسبقه إليه أحد.[84]

* " الدالّ على الخير كفاعله " نقل الميداني عن المفضّل أنّ أوّل من قاله اللّجيج بن شنيف اليربوعي في قصّة طويلة ذكرها في كتابه الفاخر.[85] وهذا المثل حديث أخرجه البخاري.[86]

النوع الرابع

أمثال جاهليّة ذكرها الرّسول ﷺ مع بعض التّغيير في نصّها ومن أمثلة هذا الضّرب:

* " من ير يوما ير به."[87] ذكر الميداني أنّ أوّل من قاله كحلب بن شُؤبوب الأسدي لحارثة بن لأم الطّائي وقت أسره. والمثل حديث أخرجه مسلم ونصّه: " من سمّع سمّع الله به ومن راءى راءى الله به".[88]

* " من مأمنه يؤتى الحذر".[89] نسبه الميداني لأكتم بن صيفي وذكر بأنّ هناك حديثا مثله وهو " لا ينفع حذر من قدر".

و لم تلق أمثال الحديث الشريف من العناية ما لقيته أمثال القرآن الكريم أو الأمثال العربية القديمة، بل إنّ علماء الحديث لم يعنوا بها كذلك. وبين يدي الآن مجموعة كبيرة من كتب الحديث المعتمدة وعلى رأسها الكتب السّتّة، ولا أجد فيها من خصّ الأمثال النبويّة بباب فيه غير الترمذي الذي عقد في كتابه " الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ " مكانا لها تحت عنوان" كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ "[90] لكنّه لم يذكر سوى ستّة عشر حديثا.

ويفرد الميداني الباب الثلاثون من " مجمع الأمثال " لذكر نبذ من كلامه ﷺ الذي جرى مجرى الأمثال. قال في مقدمة كتابه في معرض تبيينه لمنهجه في إيراد الأمثال: "... وجعلت الباب الثلاثين في نبذ من كلام النبي ﷺ وكلام خلفائه

الراشدين ﷺ أجمعين، مما ينخرط في سلك المواعظ والحكم و الآداب ".[91] ونضيف إلى ذلك ما ذكره في ثنايا الكتاب وهو كثير.

أمثال قالها الصّحابة ﷺ

لّما كان للأمثال من المنزلة ما قد بيّنا، فإنّ الرّعيل الأوّل من سلف هذه الأمّة أولاها هو الآخر عنايته, فهذا عمر بن الخطّاب يوجّه، في رسالته الشّهيرة، نظر أبي موسى الأشعري إلى الأمثال ويطلب منه أن يعرفها ويقيس عليها الأمور.[92] فشاعت على ألسنتهم وصرفوها في الكثير من أوجه الكلام ممّا جعل الميداني يكثر من ذكرها في ثنايا المجمع ثم يفرد لها هي الأخرى مكانا في الباب الثلاثين من مجمعه.[93] وأقوال الصحابة التي سارت بين النّاس وصارت أمثالا أنواع كثيرة منها:

النوع الأول

أقوال قالها بعض الصّحابة ﷺ فصارت أمثالا سائرة ومنها:

* " شاور في أمرك الذين يخشون الله." قاله عمر بن الخطّاب.[94]
* " إنّ البلاء موكّل بالمنطق." قاله أبو بكر.[95]
* " رأي الشّيخ خير من مشهد الغلام." قاله الإمام علي.[96]
* " إذا حككت قرحة أدميتها." قاله عمرو بن العاص.[97]
* " سفيه لم يجد مسافها." قاله الحسن بن علي لعمرو بن الزّبير حين شتمه.[98]
* " على يديّ دار الحديث." قاله جابر بن عبد الله الأنصاري.[99]

النوع الثاني

أمثال استشهد بها الصّحابة ليدعموا كلامهم ومن أمثلة هذا الضّرب:

* " غثّك خير من سمين غيرك ".[100] تمثّل به ابن عبّاس عندما بايع النّاس ابن الزّبير بالخلافة.
* " كالأرقم إن يقتل ينقم, وإن يترك يلقم ".[101] تمثّل به رجل عند عمر جاء يطلب قودا على كسر كُسره فأبى عليه عمر القَوَد, ولّما تمثّل الرجلُ, قال له عمر: هو كذلك.
* " شوى أخوك حتّى إذا أنضج رمّد".[102] تمثّل به الإمام علي حين مرّ بدار رجل عُرف بالصّلاح فسمع من داره صوت بعض الملاهي.

* " بلغ السّيل الزُّبى ".[103] ذكره عثمان بن عفّان في كتابه لعلي بن أبي طالب حين أحيط به " أمّا بعد: فإنّه قد جاوز الماء الزّبى وبلغ الحزام الطّبّين وتجاوز الأمر بي قدره وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه ... ".[104]

النوع الثالث

أمثال قديمة استعملها الصّحابة في فتاواهم. ومن أمثلة هذا النّوع:

* " الذّئب يكنى أبا جعدة ".[105] أجاب ابن عبّاس به سائله عن المتعة معرّضا به.

* " عسى الغوير أبؤسا ".[106] قاله عمر بن الخطّاب لرجل حمل إليه لقيطا. قال ابن الأعرابي: " إنّما عرّض بالرّجل. أي لعلّك صاحب هذا اللّقيط ".

✓ أمثال العامّة و المولّدين

قبل الشروع في الحديث عن هذا النوع من الأمثال نرى أنّ من الضرورة التذكير بما سبقت الإشارة إليه من ذهول الأدب العربي شعره ونثره أمام فصاحة القرآن وبلاغته، ولّما استردّ أنفاسه وانتعش من جديد، لقيت الأمثال منافسة شديدة من قبل فنون نثرية اقتضتها طبيعة العصر، خاصّة فن الرسائل.

وقد أثرت هذه المنافسة على الأمثال أبلغ التأثير، فتراجعت عن مكانتها وقلّت العناية بها، كما أسقطها جامعو الأمثال من مصنّفاتهم و لم يحتفظوا منها إلاّ ببعض أمثال صحيحة النسبة إلى أعلام عصر الاحتجاج اللغوي مع التنبيه على ذكر قائلها أو ذكر العصر الذي قيل فيه المثل.

فالمثل " أسأل من قرثع "[107] ذكر المؤرّج أنّه محدث وإسلامي قيل في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وذكره من بعده الميداني في المجمع[108] دون الإشارة إلى تاريخ إطلاقه لكنّه ذكر أنّ قرثع الذي قيل فيه المثل أوسي كان على عهد معاوية.

وتدخل في هذا الباب الأمثال التي قالها فصحاء صدر الإسلام ونقلها علماء الأدب واللغة في كتبهم ومصنّفاتهم. وتسمّى هذه الأمثال بـ " أمثال المولّدين".

ويعدّ الميداني من أبرز المهتمّين بهذا النوع؛ فقد جمعها وأفرد لها فصلا خاصّا في نهاية كلّ باب من أبواب المجمع، يذكر فيه كلّ ما بلغه منها مرتّبا على حروف المعجم على شاكلة ما فعله مع الأمثال القديمة. قال: " ... وأفتتح كلّ باب بما في كتاب أبي عبيد أو غيره، ثم أعقبه بما على أفعل من ذلك الباب، ثم أمثال المولّدين، حتّى آتي على الأبواب الثمانية والعشرين على هذا النّسق ... ".[109]

غير أن فضل السّبق في جمع أمثال المولّدين وتبويبها وترتيبها يعود إلى أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي والذي يعدّ من أهمّ مصادر الميداني. كما عني به الزمخشري هو الآخر في كتابه "المستقصى".

وقد احتلّت الأمثال في العصر الإسلامي، خاصة حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، من النثر منزلة دون تلك التي كانت لها في العصر الجاهلي، فكان من اللازم علينا أن نعتمد على القديمة منها في استنباط ما توصّلنا إليه من أحكام في هذا البحث، لكنّ ذلك لا يمنعنا من التطرق لبعض الظواهر في المثل المولّد مقتصرين على ما ذكر منها في المجمع:

1 / من أمثال المولّدين ما هو مأخوذ من شعر قديم أو أصله مثل قديم. فالمثل:

* " ظلم الأقارب أشدّ مضضا من وقع السيف ".[110] معناه قديم مأخوذ من قول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد في معلّقته:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهنّد[111]

* والمثل " بغاث الطير أكثرها فراخا."[112] ذكره الميداني في فصل الأمثال المولّدة من باب الباء، وسبق له أن ذكره في باب الهمزة مع الأمثال القديمة الفصيحة، ونصّه هناك " إنّ البغاث بأرضنا يستنسر."[113] ودلالة المثل في الحالتين واحدة على تغيّر لفظه، فهو يضرب للضّعيف يقوى وللذّليل يصير عزيزا.

* وذكر ذكر الميداني أنّ المثل " الغمرات ثم ينجلين."[114] للأغلب العجلي. والأغلب عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام.[115] ويظهر أنّ كلمة الأغلب هذه قد أغفلها النّاس زمنا طويلا و لم يستعملوها إلاّ في العصور المتأخّرة حتى عُدّت من أمثال المولّدين.

2 / معنى بعضها مقتبس من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف.

* فالمثل " تكلم فقد كلّم الله موسى تكليما."[116] مقتبس من قوله تعالى: " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليما." النساء 164.

* والمثل " تقاربوا بالمودّة ولا تتّكلوا على القرابة."[117] أصله حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ : " لمّا نزلت هذه الآية ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ الشعراء 214 دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعمّ وخصّ

وقال: " يا بني عبد شمس, يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النّار، يا بني عبد المطّلب أنقذوا أنفسكم من النّار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النّار فإنّي لا أملك لكم من الله شيئا، غير أنّ لكم رحما سأبلّها ببلالها."[118]

3 / تسرّب اللحن إلى لفظ بعضها، ودخلته الألفاظ الأعجمية، والألفاظ الفارسية بوجه خاصّ ، ففقدت بذلك حجيّتها اللغوية. وأمثلة هذا الضّرب كثيرة منها:

* قولهم عند التبرّم والضّجر" إلى كم سِكباج ".[119] و" سِكباج " كلمة فارسية معرّبة عن " سِكبا " الفارسية وهو حساء مركّب من الخلّ واللّحم والبرغل والفاكهة المجفّفة.[120]

* وقولهم: " من نكد الدّنيا منفعة الهليلج ومضرّة اللوزينج ".[121] فاللوزينج كلمة فارسية معرّبة عن " لوزينه " الفارسية وهو حلوى تحشى بالفستق واللوز وماء الورد والسكّر[122] والهليلج أو الأهليلج كلمة معرّبة عن (هليله) الفارسية. وهو ثمر شجر ينبت في الهند لونه أصفر أو أسود يستعمل في الطبّ.[123]

من هنا يظهر أنّه وبالرغم من العناية المبكّرة والمستمرّة للعلماء بهذا الموضوع, ممّا أتاح للميداني أن يتصفّح أكثر من خمسين كتابا عند تأليفه لـ " المجمع "، فإنّ عنايتهم بأنواعها لم تنل الرعاية الكاملة، وآمل أن أكون بهذا العمل المتواضع قد لفتّ النظر إلى جانب مهمّ في دراستها.

الهوامش والإحالات

1 السيوطي: جلال الدين أبو الفضل. الإتقان في علوم القرآن. بيروت.عالم الكتب. 131/2.

2 د/ عفيف عبد الرحمن. مكتبة العصر الجاهلي وأدبه .ط 1. دار الأندلس. بيروت. 1984. ص31 ــ 37 . وعلى هذا الكتاب كان اعتمادي في رصد حركة التأليف في الأمثال.

3 د / طه حسين . في الأدب الجاهلي. ط 10.دار المعارف . مصر 1969. ص 330.

4 نفسه ص 330.

5 نفسه ص 331.

6 نفسه ص 331.

[7] شوقي ضيف. العصر الجاهلي. ط11. دار المعارف. مصر. ص404.

[8] أحمد أمين. فجر الإسلام. ط 11. دار الكتاب العربي. بيروت. 1979.. ص 50.

[9] مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج. المسند الصّحيح. ضبط صدقي جميل العطّار. دار الفكر بيروت 2000. ص1382.

[10] المبرد: أبو العبّاس محمد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب. مؤسّسة المعارف. بيروت. 1 / 09.

[11] الميداني: أحمد بن محمد بن أحمد. مجمع الأمثال. ضبط وتعليق سعيد محمد اللحّام. دار الفكر. بيروت. 2000. 1/ 115.

[12] نفسه 2 / 494. وتمامه " ... ويرمي بأمثال القطاة فؤاده."

[13] نفسه 1/ 286.

[14] نفسه 2/ 433

[15] نفسه 2/ 386.

[16] نفسه 2/ 433. ولفظه في هذا المقام :" إنّ الأوّل لم يدع للآخر شيئا ".

[17] نفسه 1/ 339 .

[18] نفسه 1/ 439 .

[19] نفسه 2/ 85 . وذكره بلفظ :" سميعا دعوت."

[20] نفسه . 2/ 282 . ـــ 2/ 303 .

[21] نفسه 2/ 301 .

[22] البيت في فصل المقال البكري. جاء في سياق قصة للحطيئة نسبه فيها الحطيئة لضابيء. أنظر البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. فصل المقال في شرح

كتاب الأمثال. تحقيق د / إحسان عبّاس و عبد المجيد عابدين. ط 3 مؤسّسة الرسالة. 1983. ص 324 . وانظر الشعر والشعراء 239/1. إذ يذكر ابن قتيبة أن

البيت تمثّل به الحطيئة في مرضه.

[23] الميداني. المصدر السابق. 2 /101.

[24] الضبّي. المفضّل بن محمد. أمثال العرب. تحقيق د / إحسان عبّاس. ط1 دار الرّائد العربي. 1981. ص47

[25] الميداني. المصدر السابق 2 / 92

[26] نفسه 1 / 360.

[27] نفسه 1/ 367.

[28] نفسه 2 / 443.

[29] نفسه 1 / 229.

[30] نفسه 2 / 17. وقد اختُلف في براقش؛ منهم من جعلها كلبة , ومنهم من جعلها امرأة لقمان بن عاد وبالقول الأخير أخذت.

[31] انفسه 2 / 42.

[32] أمثال الضبّي.ص.144. والمثلان في قصّة الزبّاء

[33] يظهر هذا النوع بجلاء في أمثال الزبّاء، والحارث بن ظالم....أمثال العرب للضبّي

[34] الميداني. المصدر السابق 2 / 392.

[35] الدينوري: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. الشعر والشعراء. تح د / عمر الطباع. دار الأرقم. بيروت. ط 01. 1997. ص 544

[36] الميداني المصدر السابق. 1 / 169.

[37] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال . للبكري ص 139.

[38] المفضّل المصدر السابق. ص117

[39] الميداني . المصدر نفسه . 2 / 179.

[40] تدرج في هذا الباب الأمثال التي تتحدّث عن الإست والزنا.

[41] الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتّبيين. تحقيق د/ درويش جويدي. المكتبة العصريّة صيدا 2001. 1 / 151.

[42] نفسه. 3 / 634.

[43] ابن رشيق. أبو علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر. تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي. ط 1. المكتبة العصريّة. صيدا.2001. 1/ 53.

[44] الجاحظ . المصدر السابق. 1 / 175.

[45] ابن جنّي: أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد علي النجّار. إصدار دار الكتب المصرية. المكتبة العلمية. 1 / 386.

[46] الجاحظ . المصدر السابق.1 / 151.

[47] د / ش.ضيف.الفن و مذاهبه في النثر العربي ص51

[48] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم.تصحيح لجنة من العلماء.ط 3 .دار الأندلس. بيروت.1981. ج.1.ص111

[49] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. 2 / 132. 133.

[50] الميداني. المصدر السابق 2 / 150.

[51] نفسه 2 / 349.

[52] نفسه 1 / 477.

[53] نفسه 2 / 337..

[54] السيوطي. المصدر السابق. 2 / 133. بتصرف. وقد قمت بتخريج السور والآيات.

[55] الجاحظ . البيان. 2 / 245.

[56] أحمد عمر هاشم.حول البلاغة النبويّة. مجلّة الفيصل السّعوديّة.عدد21.فيفري79.ص29.

[57] مسلم.الصحيح ص 440. وفي رواية أخرى " فضّلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ..." مسلم480/ وانظر الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. سنن التّرمذي. ضبط صدقي جميل العطّار. ط2. دار الفكر بيروت 2002. ص 480.

[58] مسلم. نفسه ص1466.وانظر أبو داود: سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. ضبط صدقي جميل العطّار. ط 1. دار الفكر بيروت 2001. ص911.

[59] الجمحي. محمد بن سلاّم. طبقات الشعراء. إعداد اللجنة الجامعيّة لنشر التراث . دار النّهضة العربية. بيروت . ص 44.

[60] السدوسي أبو فيد مؤرج بن عمر. كتاب الأمثال. تحقيق د/ رمضان عبد التوّاب. دار النهضة العربية بيروت 1983. ص 77.

[61] ابن ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان اللسان " تهذيب لسان العرب" بيروت. دار الكتب العلميّة. ط 1. 1 / 409.

[62] نفسه.1 / 70.

[63] الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضّل. المعروف بالرّاغب. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق صفوان عدنان داوودي. ط 2. دار القلم دمشق. الدّار الشّاميّة.

ص 172.

[64] الترمذي. السنن . ص260.

[65] نفسه . ص 261 .

[66] ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. ضبط صدقي جميل العطّار. ط 1. دار الفكر بيروت 2001. 675.

[67] ابن حزم: علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. مصر. دار المعارف. 1962. ص 187.

[68] ابن دريد: أبو بكر بن الحسن. الإشتقاق. تحقيق عبد السلام هارون. ط 1 . دار الجيل. بيروت. 1991. ص 306.

[69] ابن حزم . المصدر السابق ص 187.

[70] الميداني . المصدر نفسه 1 / 21.

[71] أبو داود. السنن.ص936.

[72] الميداني. المصدر نفسه 1 / 21. والحديث في منهاج الصالحين لعزّ الدين بليق ص80 نقلا عن البيهقي ونصّه:" إنّ هذا الدين متين أوغل فيه برفق، ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك، فإنّ المنبتّ لاسفرا قطع ولا ظهرا أبقى، فاعمل عمل امريء يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذر من يخشى أن يموت غدا."

[73] الميداني المصدر نفسه. 1/ 22.

[74] نفسه 2 / 451.

[75] البكري. المصدر السابق .ص.9

[76] الميداني. المصدر السابق. 1 / 202.

[77] نفسه 2/ 34.

[78] البكري. المصدر السابق. ص84.

[79] الميداني. المصدر السابق 1 / 215.

[80] نفسه 2 / 392.

[81] البيهقي. أبو بكر أحمد بن الحسين. الآداب. تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا. ط 1. دار الكتب العلمية. بيروت. 1986.ص93

[82] الميداني. المصدر السابق. 2 / 158.

[83] نفسه 2/ 158.

[84] الجاحظ. البيان. 2 / 244.

[85] الميداني. المصدر السابق. 1 / 330.

[86] عز الدين بليق. المصدر السابق. ص899/ وأخرجه مسلم ولفظه عنده: " من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله " الصحيح ص960.

[87] الميداني. المصدر السابق. 2 / 356.

[88] مسلم. الصحيح. ص1462

[89] الميداني. المصدر السابق. 2 / 364.

[90] انظر سنن الترمذي. من ص 811 إلى 815. والأحاديث من الرقم : 2868 إلى الرقم 2883.

[91] الميداني. مقدمة المجمع . 1 / 17.

[92] المبرد: المصدر السابق. 1 / 09.

[93] الميداني. المصدر السابق. 2 / 531. 537.

[94] نفسه 1/ 459.

[95] نفسه 1 / 33.

[96] نفسه. 1 / 332.

[97] نفسه. 1 / 46.

[98] نفسه. 1 / 418.

[99] نفسه. 2 / 09.

[100] نفسه. 2 / 68.

[101] نفسه. 2 / 169.

[102] نفسه. 1 / 443.

[103] نفسه. 1 / 118.

[104] المبرد. المصدر السابق. 1 / 11.

[105] الميداني. المصدر السابق. 1 / 343.

[106] نفسه. 2 / 19.

[107] المورج: المصدر السابق. ص 78.

[108] الميداني. المصدر السابق 1 / 428.

[109] الميداني. مقدمة المجمع . 1 / 17.

[110] نفسه 553/1.

[111] القرشي: أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب. جمهرة أشعار العرب. تح د/ محمد علي الهاشمي. ط 3. دار القلم. دمشق. 1999. 1/ 444.

[112] الميداني المصدر السابق.153/1.

[113] نفسه 24/1. .

[114] نفسه 2 / 67.

[115] ابن دريد. المصدر السابق. ص346.

[116] الميداني. المصدر السابق 1 / 188.

[117] نفسه 188/1.

[118] مسلم.الصحيح. ص127.

[119] الميداني . المصدر نفسه 115/1.

[120] التونجي. الدكتور محمد. المعجم الذّهبي. " فارسي ـــ عربي " ط2. دار العلم للملايين.بيروت. 1980. ص349.

[121] ا الميداني. المصدر السابق. 386/2.

[122] التونجي. المصدر السابق. ص 529.

[123] نفسه. ص607.

مراجع البحث

* القرآن الكريم.

* البخاري: أبو عبد محمد بن إسماعيل. الصحيح صحيح البخاري . ط دار الشهاب الجزائر 1991.

* مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج. المسند الصّحيح. ضبط صدقي جميل العطّار. دار الفكر بيروت 2000.

* الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. سنن التّرمذي . ضبط صدقي جميل العطّار. ط2 . دار الفكر. بيروت 2002.

* بليق. عزّ الدّين: منهاج الصّالحين. ط 5. دار الفتح. بيروت. 1987.

* الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضّل. المعروف بالرّاغب. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق صفوان عدنان داوودي. ط 2. دار القلم دمشق.

الدّار الشّاميّة.

* البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. تحقيق د / إحسان عبّاس و عبد المجيد عابدين. ط 3 مؤسّسة

الرسالة. 1983.

* ابن جنّي: أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد علي النجّار. إصدار دار الكتب المصرية. المكتبة العلمية.

* ابن حزم: علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. مصر. دار المعارف. 1962.

* ابن دريد: أبو بكر بن الحسن. الإشتقاق. تحقيق عبد السلام هارون. ط 1 . دار الجيل. بيروت. 1991.

* ابن رشيق: أبو علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر. تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي. ط 1. المكتبة العصريّة. صيدا. 2001.

* ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. تصحيح لجنة من العلماء. ط 3 . دار الأندلس. بيروت. 1981.

* ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان اللسان " تهذيب لسان العرب" بيروت. دار الكتب العلميّة. ط 1.

* التونجي: الدكتور محمد. المعجم الذّهبي. فارسي — عربي. ط2. دار العلم للملايين. 1980.

* الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتّبيين. تحقيق د/ درويش جويدي. المكتبة العصريّة صيدا 2001.

* الجمحي. محمد بن سلاّم. طبقات الشعراء. إعداد اللجنة الجامعيّة لنشر التراث . دار النّهضة العربية. بيروت.

* حسين: د / طه. في الأدب الجاهلي. ط 10.دار المعارف . مصر 1969.

* الدينوري: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. الشعر والشعراء. تح د / عمر الطباع. دار الأرقم. بيروت. ط 01. 1997.

* السيوطي: جلال الدين أبو الفضل. الإتقان في علوم القرآن. بيروت. عالم الكتب.

* السدوسي أبو فيد مؤرج بن عمر. كتاب الأمثال. تحقيق د/ رمضان عبد التوّاب. دار النهضة العربية بيروت 1983.

* الضبّي: المفضّل بن محمد. أمثال العرب. تحقيق د / إحسان عبّاس. ط1 دار الرّائد العربي. 1981.

* ضيف: د/ شوقي. العصر الجاهلي. ط11. دار المعارف. مصر.

* عبد الرحمن: د/ عفيف. مكتبة العصر الجاهلي وأدبه .ط 1. دار الأندلس. بيروت. 1984.

* المبرد: أبو العبّاس محمد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب. مؤسّسة المعارف. بيروت.

* الميداني: أحمد بن محمد بن أحمد. مجمع الأمثال. ضبط وتعليق سعيد محمد اللحّام. دار الفكر. بيروت. 2000.

* أحمد عمر هاشم.حول البلاغة النبويّة. مجلّة الفيصل السّعوديّة.عدد21.فيفري79.